

طريقنا إلى الحضارة

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت . لبنان ص.ب: ٦٠٨٠ شوران

البريد الإلكتروني: comalmojtaba@shiacenter

بسم الله الرحمن الرحيم
كنتم خير أمة
أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف
وتنهيون عن المنكر
وتؤمنون بالله
سورة آل عمران: ١١٠

كلمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأنبياء العظام والرسل الكرام وكذلك أوصياؤهم المعصومون (عليهم السلام) هم مؤسسو الحضارات وصانعوها، فان أول إنسان نزل على الأرض، وسكن كرة التراب، هو آدم أبو البشر (عليه السلام)، نبي الله وصفوته، وأمينه وسفيره، وهو الذي قد علمه الله تعالى الأسماء كلها، وأنزل معه ما تتطلبه الحياة الإنسانية والحضارية من برامج ومناهج، برامج سماوية ومناهج الهية يتضمن تطبيقها سعادة الإنسان، ويحقق له فوزه على المصاعب والمشاكل، وظفره بالأمان والآمال، وذلك رغم تسمية ذلك العصر . في العلوم الاجتماعية . بالعصر الحجري وما أشبهه من الأسماء التي لم ينزل الله بها من سلطان، وانما هي على أقل تقدير من التكهنات والتخرصات على الغيب، وإلا فان أول إنسان سكن الأرض، وبنى فوقها الحضارة والمدنية، هو: خليفة الله آدم (عليه السلام)، وخليفة الله هو: سفير السماء وبوابة الحضارة السماوية نحو أهل الأرض، ثم أمره بأن يودعها وصيه من بعده.

نعم لقد أتى آدم أبو البشر (عليه السلام) لنفسه وللنفس البشرية الذين تواجدوا على الأرض من نسله بما يلائمهم من مواد الحضارة والمدنية، وجاءهم بما يطبقونه فكراً وجسماً من القوانين السماوية المتحضرة..

حتى إذا مضت قرون من حياة البشر، ومرت دهور على تواجدهم وتكاثرهم، واحتاج البشر إلى مواد حضارية أكبر، وقوانين أشمل، أرسل الله تعالى رسولاً آخر،

وبعث نبياً ثانياً، وانزل إليه كتاباً فيه ما يحتاجه البشر المعاصر لذلك النبي من مواد جديدة، وقوانين حضارية إضافية تنفق مع مستوى تطلعات أولئك البشر وتلبي كل حاجاتهم المادية والمعنوية، وتحقق جميع آمالهم وأمانهم التقدمية والحضارية.

ثم انه لما تمادت العصور بالبشر، وتقدمت بهم السنين والأعوام وطال عليهم الدهر والزمان وكثروا وازدادوا نسلًا بعد نسل، وجيلًا بعد جيل، احتاجوا إلى ما ليس موجوداً عندهم من قوانين حضارية تتوافق مع مجتمعاتهم، وتتلاءم مع أهدافهم، فبعث الله تعالى نبياً آخر، وأرسل إليهم رسولاً ثالثاً، ورابعاً، وخامساً، وهكذا، حتى انتهى الأمر إلى سيد الرسل وخاتم النبيين، محمد بن عبد الله ﷺ، وأرسل معه إليهم الإسلام العظيم، والقرآن الحكيم، الذي فيه آخر ما في قاموس لغة التقدم والحضارة من حرف، والذي يتضمن فوق ما يتصوره بشر اليوم وحتى بشر القرون المتطاولة الآتية من مواد التقدم وقوانين التحضر.

إن الإسلام دين الله الذي ارتضاه للإنسان إلى يوم قيام الساعة، وحتى انقراض البشر وفنائه، انه آخر صيغة للحضارة السماوية الممنوحة إلى أهل الأرض، والمهداة إلى سكان كرة التراب، كيف لا وقد عنى الإسلام بجميع شؤون الإنسان من لدن قبل حياته وحتى بعد وفاته، ولم يغفل عن جزئي من جزئيات دنياه، ولا عن مهمة من مهمات آخرته، انه وفر على الإنسان كل مستلزمات الحضارة، وهياً له جميع مقدماتها، ورسم له كل خطوطها وخرائطها.

ولقد أخذ الإسلام بيد الإنسان وأرشده ليتربع فوق الحياة الدنيا، ويشرف على قمة هذا الكون الفسيح، وأمره بتسخيرها والاستفادة منها، وقال: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾^(١).

وقال: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(٢).

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

وقال: ﴿خلق الإنسان ﴿علمه البيان﴾﴾^(٣).

وقال: ﴿اقرأ وربك الأكرم ﴿الذي علم بالقلم ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾﴾^(٤).

وقال: ﴿إن والقلم وما يسطرون﴾^(٥).

وقال: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾^(٦).

وقال عليه السلام: «ليس منا من ترك آخرته لذيئه ولا من ترك دنياه لآخرته».

نعم ان الإسلام هدى الإنسان إلى حضارة العلم بتراته العلمي، وإلى حضارة العمل برصيده العملي والسلوكي، وأمره بأن يكون حضارياً: علماً وثقافة، وسلوكاً وعملاً، وهذا هو ما يريد سماحة الإمام الشيرازي «دام ظله» في هذا الكراس الارشاد اليه، والترغيب فيه، علّنا نستطيع نحن المسلمين أصحاب هذه النعمة: نعمة الحضارة الكبرى، أن نعمم هذه الحضارة: حضارة الإسلام الراقية وثقافته العالية على كل البشرية، وفي جميع أرجاء العالم، حتى يسعد الناس كل الناس في الحياة الدنيا بالخير والسلام، والأمن والإيمان، ويظفروا في الآخرة بالروح والريحان، والجنة والرضوان، إن شاء الله تعالى.

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت . لبنان ص.ب: ٦٠٨٠ شوران

البريد الإلكتروني: comalmojtaba@shiacenter.

^(٣) سورة الرحمن: ٣-٤.

^(٤) سورة العلق: ٣-٥.

^(٥) سورة القلم: ١.

^(٦) سورة الملك: ١٥.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.
هناك سؤال يجول في الأذهان، وي طرح نفسه بقوة ليقول: كيف تقلصت الحضارة
الإسلامية العملاقة، وانزوت عن الساحة المعاصرة؟
ثم انه ما هو العلاج لارجاعها واعادتها إلى الحياة؟
وهذا الكتاب تلميح إلى بعض طرقه.. نسأل الله سبحانه أن ينفع به انه ولي
ذلك.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

من أسباب التخلف

من أهم أسباب تقلص حضارتنا أنا أصبحنا اليوم بحيث لا نهتم بالعلم والتعمق، والعمل والمثابرة، بينما الأجانب أخذوا يعملون بكلا الشئيين، مضافاً إلى السبب الرئيسي في ذلك وهو: أننا تركنا ما أمرنا به رسول الله ﷺ من التمسك به، حيث قال ﷺ: «اني تارك فيكم الثقلين . أو خليفتين .: كتاب الله وعترتي أهل بيتي». والحديث متواتر عند الفريقين^(٧).

فحيث تركنا كتاب الله عزوجل وعتره نبيه ﷺ ولم نهتم بالعلم والتعمق فيه، والعمل والمثابرة عليه، خسرنا حضارتنا الإسلامية.

ولنمثل . توضيحاً للمطلب . بمسألة اعتقادية هي: «عصمة الأنبياء» عند الشيعة وعند العامة، ثم لننظر الفرق بينهما مصدراً وتحليلاً.

يكفينا في هذا المجال مراجعة كتاب «تنزيه الأنبياء» للسيد المرتضى رحمته الله، هذا الكتاب القيم الذي ألفه واحد من أعلام الشيعة في القرن الرابع الهجري، يعني قبل ما يقارب من ألف سنة، ألا وهو السيد المرتضى (قدس سره) فانه كتاب صغير الحجم، لكنه كبير في المعنى والمحتوى، حيث انه ذكر فيه ما يثبت به عصمة الأنبياء عليهم السلام وطهارتهم من الدنس، ونزاهتهم عن الخطأ والاشتباه، والسهو والنسيان، والزلل والعصيان.

(٧) معاني الأخبار: ص ٩٣ . كمال الدين: ص ٢٤٧.

قصص الأنبياء ﷺ وعصمتهم

هذا هو واحد مما جاء في كتبنا المعتمدة، ومصنفات علمائنا المعتمدة، بالنسبة إلى عصمة الأنبياء ﷺ، بينما نرى القصص المشتهرة لدى بعض الناس عن بعض الأنبياء خلاف ذلك إذ فيها ما لا يليق بشأنهم فكيف بمقام عصمتهم وطهارتهم؟ وما ذلك إلا لما تسرب من بعض كتب العامة إلى أوساط الناس، وانتشر من مصادرهم فيما بينهم.

ومن المعلوم أن العامة حيث إنهم لم يأخذوا معارفهم من أئمة أهل البيت: ذرية رسول الله ﷺ وقرباه، الذين نزل القرآن وقصصه في بيوتهم «وأهل البيت أعرف بما في البيت» وقعوا في مأزق من المعارف الصحيحة، ومنأى عن المنابع المعتمدة، والمصادر الموثوقة، فاضطروا إلى التشبث بما أخذ مشبوهة، والتمسك بمصادر غير معتبرة، دعيت فيما بعد بالاسرائيليات.

وانما سميت بذلك لأن وهب بن منبه، وكعب الأحبار، ومن أشبههما هم مصدر أكثر القصص الواردة في كتب السنة بالنسبة إلى قصص الأنبياء ﷺ، ثم أبو هريرة ومجاهد والشعبي ومن إليهم هم مصدر ثان لها، مع أنا لو راجعنا تاريخ هؤلاء لرأينا أن بعضهم من النواصب المبغضين للإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ﷺ، حتى أن المؤرخين يذكرون عن أحدهم بأنه كان شديد العداة لعلي وأهل بيته ﷺ، علماً أن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هو من عرفه القرآن الكريم: بأنه نفس رسول الله ﷺ حيث يقول تعالى في آية المباهلة: ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾^(٨) وأن أهل بيته هم قربي الرسول الحبيب ﷺ الذي جعل القرآن مودتهم أجر رسالته ﷺ، وذلك حيث يخاطب الله تعالى رسوله الكريم ويقول له: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً

(٨) سورة آل عمران: ٦١.

إلا المودة في القربى ﴿٩﴾.

التفسير لدى الفريقين

هذا هو حال بعض من أخذ منهم العامة في مجال قصص القرآن الحكيم بالنسبة إلى الأنبياء ﷺ، وكذلك أيضاً حال الذين أخذ منهم العامة في مجال تفسير القرآن العظيم وتبيين معانيه وأحكامه.

وعليه: فإذا كان كذلك فلماذا نرى الشيخ الطبرسي رحمته الله في تفسير مجمع البيان ينقل عنهم؟

والجواب: انا إذا راجعنا زمانه، والظروف التي كان يعيش فيها، لرأينا أن الظروف كانت تقتضي آنذاك بأن يأتي بكلام الإمام الصادق عليه السلام وأن يأتي إلى جانبه بكلام أبي هريرة، وأن يأتي بكلام علي أمير المؤمنين عليه السلام وبكلام عمر وعثمان مثلاً، حتى يستطيع من بيان الحق، ونشر كتابه، وإبلاغ ما وصله من روايات أهل البيت عليهم السلام في التفسير، وفي قصص القرآن، وفي أحكام الله تعالى، إلى الناس وإلى الأجيال من بعده، ثم انه على الناس والأجيال الذين يأتون من بعده أن يتدبروا ما جاء فيه، ليأخذوا بأحسنه، ويتركوا ما لم يكن حسناً منه، كما قال تعالى: ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (١٠).

إذاً فالشيخ الطبرسي رحمته الله إنما نقل ما نقل في تفسيره مجمع البيان، من أقوال العامة، ليستطيع عبر تلك الظروف القاسية التي كان يتحدث فيها عن أهل البيت عليهم السلام وعمما يروونه عن جدهم رسول الله ﷺ جرماً كفارته الهتك والقتل أن يوصل رواياتهم عليهم السلام إلى الناس، موكلاً الاختيار وحسن الانتخاب منها إليهم، وهذا يدل على أن ما جاء في كتابه يوجد فيه الصحيح، لا أن كل ما كتبه فيه صحيح، فانه لم

(٩) سورة الشورى: ٢٣.

(١٠) سورة الزمر: ١٧-١٨.

يلتزم هو به أيضاً.

هذا في مجال أصول الدين من قصص القرآن والتفسير.

فروع الدين ومسائله

وأما في مجال فروع الدين من الصلاة والصيام وغيرها فكذلك أيضاً، إذ نرى أن الشيخ الطوسي رحمته الله المعروف بشيخ الطائفة في كتابه «الخلاف» يقول: هذا رأي جعفر بن محمد رحمته الله، وهذا رأي أبي حنيفة، وهذا رأي أم سلمة، وهذا رأي عائشة، وهذا رأي الزهري، وهذا رأي الثوري، وهذا رأي الأوزاعي، وهذا رأي أحمد، وهذا رأي مالك، وهذا رأي الفضل بن شاذان، وهذا رأي الصفار، وغيرهم وغيرهم.

نعم، هذا هو حال كتاب الخلاف لشيخ الطائفة وكذلك هو حال العلامة رحمته الله في كتابه «تذكرة الفقهاء» وكتابه الآخر «مختلف الفقهاء» فإنه قد أتى في كل من كتابيه هذين بمختلف الآراء لكل من العامة والخاصة أيضاً لنفس الغرض.

ثم إن من دأب الشيخ الطبرسي رحمته الله في كتابه المذكور «مجمع البيان» . على ما عرفت . هو أن لا ينتخب النتيجة ولا يتعرض لاختيار الصحيح من الأقوال والآراء عادة، وإنما يقول: هو المروي عن الإمام الباقر والإمام الصادق رحمته الله، أو هو المروي عن الإمام علي ابن أبي طالب أمير المؤمنين رحمته الله، بينما قد دأب الشيخ الطوسي رحمته الله في كتابه «الخلاف» وكذلك العلامة الحلي رحمته الله في كتابيه «المختلف» و«التذكرة» على انتخاب الصحيح من الأقوال، وابداء الرأي فيها، فيقولون بعد محض الآراء: إن هذا رأينا، ودليلنا عليه كذا.

وكيف كان: فإننا في الحقيقة إذا اقتنعنا بالسطحيات، واكتفينا بالظواهر والقشور، ولم نتعمق في العلم، ولم نجد في العمل، ولم نتقنهما بقوة لم نحصل على دين ولا دنيا، ولا وجهنا أنفسنا ولا وجهنا غيرنا، وإنما نكون قد حشونا أذهاننا

وأذهان غيرنا بأشياء غير صحيحة، وملاًناها بما تتنافى مع حلال الله وحلال أنبيائه، فنكون بالنتيجة قد خسرنا ديننا، وان خسران الدين وفقده يؤدي قطعاً وجزماً إلى خسران الدنيا والآخرة معاً، وذلك هو الخسران المبين.

العلم والعمل

إذن: فلا بد من الاهتمام بالعلم والتعمق فيه، والجدّ في العمل والمثابرة عليه، رغم احتياج ذلك إلى التعب والنصب، وقد كنا في كربلاء المقدسة نتباحث مع جماعة من الأصدقاء، وبعضهم الآن يتواجد في الكويت وغيرها، كتاب «مصايح الأنوار في حل مشكلات الأخبار» للسيد عبد الله الشير رحمته الله وهو كتاب يقع في ثلاث مجلدات يبحث بتعمق ودقة الروايات التي فيها نوع من الغموض والاعلاق، ويستكشف بعض ما يمكن أن يريده المعصومون عليهم السلام منها، وإني أوصي الأصدقاء بمطالعة هذا الكتاب ومباحثته فان ذلك مفيد جداً.

مثلاً: قد يسمع الإنسان خطيباً فوق المنبر وهو يقرأ أحاديث «الطينة»، فيفكر أن الطينة هي التي توجّه الإنسان وتقرّر مصيره النهائي دون غيرها، مع انه إذا كانت الطينة هي التي توجّه الإنسان وتقرّر مصيره فقط فما هو إذن فضل المؤمن؟ وما هو ذنب المجرم؟.

نعم ان لمثل هذه الأحاديث وغيرها مما هي دعامة حضارتنا مقدمات وممهّدات، ومداخل ومخارج، ولا بد للإنسان من التعرف عليها، والتعمق والتوغل فيها، حتى يستطيع أن يعرف ما هي مداخلها وما هي مخارجها؟ وما هي مقدماتها وما هي ممهّداتها؟ وما هي النسبة بينها وبين سائر الروايات؟

دعائم الحضارة الإسلامية

وعليه: فإن هذه الأحاديث وغيرها، بل وكل روايات أهل البيت عليهم السلام هي دعامة حضارتنا، وأساس تقدمنا وتمدننا، فإن الحضارة هي عبارة عن حضارتين: حضارة علم وحضارة عمل، وقد حظينا نحن المسلمين بكلتا الحضارتين: العلمية والعملية.

الحضارة العلمية

فأما الحضارة العلمية: فهي عبارة عن هذه الجمهرة الهائلة من المعارف الإلهية، المودعة في القرآن الكريم، والموجودة في السنة المباركة: من روايات رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام مثل ما في نهج البلاغة، ونهج الفصاحة، والصحيفة السجادية، وما أشبه ذلك من كتب الحديث والدعاء.

الحضارة العملية

وأما الحضارة العملية: فهي عبارة عن هذا الرصيد الضخم، الذي هو بأيدينا من السيرة العملية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام والتي استطاعت بقوتها وفعاليتها، وتواصلها وتداومها، وكثرتها وبركتها، أن تفتح على البشرية جمعاء أبواب حضارة جديدة عملاقة، حضارة عملية نزيهة من النواقص، بريئة من المعائب والمظالم، سليمة من الاستبداد والطغيان، مليئة بالمحبة والرحمة، مشفوعة بالأمن والإيمان، مقرونة بالسلم والسلام.

ثم واصل تقدم الحضارة العملية المباركة للنبي وآله الكرام عليهم السلام هذه، علماؤنا الأعلام وفقهاؤنا العظام، إضافة إلى ما كانوا يواصلونه من التقدم الحضاري العلمي: من الاحتفاظ بالروايات الشريفة، والأحاديث الكريمة، وتأليفها وتهذيبها، وتعلمها

وتعليهما، ومباحثتها ومدارستها، وتوضيحها وتبيينها وغير ذلك.

رجال الدين ومهمتهم الحضارية

ثم لا يخفى أن باستطاعة كل إنسان مؤمن وخاصة رجل الدين المتخصص، أن يواصل طريقه في تقدم الحضارتين: العلمية والعملية، فان اللبنة الأصلية للحضارتين قد وضعها الإسلام، وطبقها الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الطاهرون ﷺ، وعلى الإنسان المؤمن أن يعترف من هاتين الحضارتين: العلمية والعملية، ما يستطيع أن يكون به كالمهندس الخبير في فن الهندسة، والمعمار القدير في شؤون البناء، يعرف ماذا يأخذ، وفي أين يضع؟.

فان فقهاءنا العظام، وعلمائنا الأعلام، كثيراً ما يأخذون الرواية الواحدة، ذات الفقرات المتعددة، ويبحثونها علمياً وفقهياً، ويسبرونها بدقة وافية، ثم يخرجون منها بنتيجة علمية شرعية في الأحكام الالزامية وغيرها فيقولون ان الفقرة الفلانية من الرواية لاتدل على الوجوب مثلاً، والفقرة الأخرى تدل على ذلك، وهكذا غيره مما هو داخل في اطار مهمة دور الخبرات والاختصاصات.

مواصلة التقدم الحضاري

نعم ان على من يريد مواصلة طريقه في التقدم الحضاري العلمي والعملية، أن يواصل مباحثة ومدارسة أمثال الكتب التالية: «تنزيه الأنبياء» و«مصايح الأنوار في حل مشكلات الأخبار» و«بيانات الفيض الكاشاني» فيما جاء من الأحاديث المشكلة في كتابه «الوافي» وفي كتابه «الصافي»، وبيانات العلامة المجلسي فيما ورد من الأحاديث الغامضة في كتابه القيم «بحار الأنوار» وغير البحار، فان له فيها تعليقات جميلة، وحلول نافعة، تكشف ما يتراى من مشكلات الأحاديث وتوضح عن مبهماتهما، وهكذا «معاني الأخبار» للشيخ الصدوق أعلى الله مقامه الشريف،

فانه أيضاً الآخر الذي قام بهذه المهمة: مهمة توضيح الروايات وتبيينها أيضاً.

لا للسطحية

أما ان الإنسان يرى رواية لا يفهم معناها، أو ينقل من مصدر ضعيف رواية ضعيفة، أو تاريخاً ضعيفاً، أو شيئاً شاذاً، كبعض ما ورد في كتب العامة أو غيرهم، ويظن أن ما جاء في هذا الكتاب هو الصحيح والواقع، ثم يتحدث به، أو يبني عليه. فهذا مما لا يطابق الدقة والتعمق العلمي.

هذا وقد رأيت شخصاً يخطب في مجلس وهو يتحدث للناس ويقول بكل صراحة وجرأة: ان عندي اشكالين على نبين، يقول هذا وهو يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ فانه مع الأسف وان كان ذلك الخطيب يجلس في هذا المقام العالي، ويتربع في هذا المجلس الرفيع. إلا أنه كان بيدوا غافلاً عن معنى العصمة التي يتصف بها أنبياء الله الكرام، الذين لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون، والذين لا يتصرفون من عند أنفسهم، وإنما تكون تصرفاتهم باذن الله تعالى، وبرخصة منه عزوجل، وحسب مصالح خاصة، وقد تكون لرفع درجاتهم، أو لتأسي الناس بهم، أو لأخذ العبرة من قصصهم، أو غير ذلك، وهم الذين لا ينطقون عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وهذه الغفلة المشينة وأشباهها ناجمة عادة عن السطحية، وعدم التعمق العلمي، المصحوبة بالكسل، وقد نهى الإسلام عن الكسل، وحذر منه قائلاً: «اتقوا الله ولا تملوا من الخير، ولا تكسلوا، فان الله عزوجل ورسوله ﷺ غنيان عنكم وعن أعمالكم، وأنتم الفقراء إلى الله عزوجل، وإنما أراد الله عزوجل بلطفه سبباً يدخلكم

به الجنة»^(١١).

وقال عليه السلام: «إياكم والكسل، فانه من كسل لم يؤد حق الله عزوجل»^(١٢).

وقال عليه السلام: «إياك وخصلتين: الضجر والكسل، فانك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً»^(١٣).

وقال عليه السلام: «إن كان الثواب من الله، فالكسل لماذا؟»^(١٤).

وقال عليه السلام: «العجز مهانة»^(١٥).

وقال عليه السلام: «إياك والاتكال على المنى، فانها بضائع النوكى»^(١٦). وإلا فإن المتعمق المجد في طلب العلم والعمل، لا يقع في مثل هذه الغفلات، ولا يسفّ إلى مثل هذه الهفوات، وإني أظن أن ذلك الخطيب كان مستواه العلمي لا يتجاوز فهم كتاب «المعالم» ولذلك كان يقول ما يقول.

السطحية وبعض نماذجها

نعم إن ذلك الخطيب كان قد رقى المنبر وكان يواصل خطابه مع الناس حول ما يزعمه من إشكالين على نبين ويقول: ان لي اشكالا على النبي يعقوب إسرائيل الله، واشكالا على النبي يوسف الصديق!

أما الاشكال على النبي يعقوب عليه السلام فهو - حسب قوله -: يا يعقوب انك كنت تعلم ان ولدك حيي، ومع علمك بحياته فما هذا البكاء الكثير الذي أدى إلى أن

^(١١) ارشاد القلوب: ص ١٤٥.

^(١٢) سفينة البحار: مادة (كسل).

^(١٣) الامالي للصدوق: ص ٥٤٣، المجلس ٨١.

^(١٤) الأمالي للصدوق: ص ٧، المجلس ٢.

^(١٥) الخصال: ص ٥٠٥، ست عشرة خصلة من الحكم.

^(١٦) أعلام الدين: ص ٢٨٦.

تبييض عيناك من الحزن؟

ثم كان يواصل كلامه ويقول: ولا نتمكن أن نحمله إلا على أنه قد شاخ وكبر،
علماً بأن معنى شاخ وكبر هو: أن الرجل ليهذي ويهجر، يعني: قد خرف والعياذ
بالله.

ثم كان يواصل كلامه ويقول: وأما اشكالي على النبي يوسف عليه السلام فهو: يا
يوسف إنك كنت تعلم أن أباك قد قلق عليك وآلمه فراقك، ومع علمك بذلك
فلماذا لم تكتب إليه رسالة تخبره فيها بأنك حي ترزق في مصر، حتى لا يبكي
عليك أبوك هذا البكاء المر، مع أن المسافة بين مصر وكنعان لم تكن كثيرة؟.

وهذان الاشكالاتن وأمثالهما لا يخطران إلا في ذهن من لم يفقه تعاليم القرآن،
ولا يجريان إلا على لسان من لم يعرف ثقافة أهل البيت عليهم السلام، ولا يفوه بها إلا من لم
يطلع على حضارة الإسلام العلمية والعملية، وكذلك حضارة الأنبياء عليهم السلام، حتى وإن
عد نفسه خطيباً يخطب الناس، أو اماماً يؤم الجماهير، كيف وقد هتف بنا رسول
الله صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام قائلين:

بأن الكمال كل الكمال التفقه في الدين.

وان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وان العلم ما لم يعاضده العمل ارتحل.

ورحم الله امرأ عمل عملاً فأتمه وأتقنه.

وهذا الأخير يشمل جميع الأعمال والأفعال، والمهن والحرف، علماً بأن الجواب
عن الشبهات ليست مهمة المنبر والخطيب فحسب بل هي مهمة المحراب والامامة
أيضاً بل وكل رجل دين، لأن إمام المحراب أيضاً معرض للأسئلة المهمة، ولذا على
الخطيب في المنبر، والامام في المحراب، وكذلك على الوكيل في وكالته، والمجتهد في
اجتهاده، والمؤلف في تأليفه وتصنيفه، أن يلاحظ ماذا يقول؟ وماذا يكتب؟ وما
يفتي؟ وكيف يجيب ويوجه؟ حتى يتمكن الجميع وبسهولة من أن يفهم معنى هذه

الرواية ومغزى تلك الرواية، وتفسير هذه الآية وتأويل تلك الآية.

أروع الحضارات وأشملها

نعم ان ورائنا حضارة رائعة، حضارة ما أضخمها وأعظمها، وأكملها وأشملها، فان الحضارة الإسلامية ما رأت الدنيا مثلها، ولن ترى مثلها أبداً، ومن المعلوم: أن حضارة كهذه الحضارة الضخمة لا تستوعب بالتوافه والسطحية.

هذا وقد كنت أقرأ في كتاب أن جماعة من علماء الغرب الباحثين والمحققين أرادوا التحقيق والتعرف على مخّ انشتاين وذلك بعد موته، فان هذا الرجل المعروف بالنظرية النسبية لما مات، استوهب علماء الغرب من أهله ومن الحكومة مخه ليقدموه للتحليل، حتى يلاحظوا هل أن في مخ هذا الرجل شيء يفوق مخ الآخرين أو لا؟

فلما استلموا مخه وهو في محلول طبي، اجتمع عليه جماعة من الأطباء البارعين من مختلف البلاد العالمية، وقاموا بتحليله وتجزأته واجراء التجارب الطبية، والفحوصات العلمية الدقيقة عليه، وبعد كل ذلك قالوا: انا لم نجد فرقاً ملموساً بين مخه وبين مخ غيره من الناس الآخرين، سوى تفاعل عشر الخلايا الموجودة في مخه، أما غيره فإن نسبة تفاعل الخلايا فيهم قليلة وضيئلة جداً.

نعم لقد استغرق هذا الأمر عدة سنوات، وعلى أيدي أطباء عديدين من ذوي التجربة والتخصص العالي، حتى تمكنوا من الاطلاع على ما خفي عنهم، والاكتشاف لما جهلوه، وعلى إثر هذا التعمق والجديّة، نرى أن الغربيين قد تقدموا رغم عدم وجود حضارة لهم إلا ما وصل إليهم من حضارة الإسلام الراقية، بينما نحن المسلمين أصحاب الحضارة وأهلها قد تأخرنا اثر السطحية والكسل، وقد

خسرنا حضارتنا، وفقدنا خيرها وبركتها، فالخطيب منا غالباً يكتفي بمطالعة كتاب أو كتابين مطالعة عابرة، وامام المحراب منا عادة لا يستفيد من تجارب وعقول الأئمة الآخرين، وهكذا وهلم جرا، وإذا لم يكن لخطيبنا وإمام محرابنا الدقة العلمية الكافية لمعرفة الصحيح من غير الصحيح، ولتمييز السليم من السقيم، فكيف بعامّة الناس وغالبية المسلمين العاديين؟

وراث الحضارة

قال تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا: فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات﴾^(١٧)، فقد قسمت الآية الكريمة وراث الحضارة السماوية إلى أقسام ثلاثة:

١: قسم منهم ظلّمة، قد ظلموا أنفسهم بعدم تقديرهم ما ورثوه.

٢: وقسم منهم متوسطين في ذلك.

٣: وقسم منهم سابق بالخيرات.

ومن المعلوم عند العقل والشرع هو: تفوق قسم السابقين بالخيرات، وفوزهم على غيرهم، وتفوقهم لا يكون إلا نتيجة أتعابهم وجهدهم في العمل، وتدبرهم وتعمقهم في الأمور.

نعم اننا بحاجة ملحة لتحمل الأتعاب: تعب السؤال، وتعب المطالعة والمدارسة، وتعب الفهم، وتعب البحث والحوار الهادف، وتعب التعمق والتحقيق العلمي، وهكذا، وإلا لم نكن ورثاً للحضارة الإسلامية العظيمة باستحقاق، وذلك لأن الحضارة لاتنال بأشياء بسيطة مصحوبة بالكسل.

^(١٧) سورة فاطر: ٣٢.

سؤال وجواب

ثم انه لسائل أن يسأل: لماذا تحطمت الحضارة الإسلامية؟
وفي الجواب يمكن أن يقال: إنه من سوء تصرف الحكام، وهذا مما لا شك فيه.
ولكن إذا كان في مقابل هؤلاء الحكام، شعوب واعية تعتمد الثقافة العالية
والتعددية البناءة، وعلماء أقوياء، يوجهون الأمة ويرشدونها، ويصدّون الحكام عن
طغيانهم، ويكفّوهم عن سوء تصرفهم، لما استطاع الحكام أن يستبدوا بآرائهم وأن
يفعلوا ما شاؤوا.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على
الملوك»^(١٨).

وهذا شيء طبيعي يوافق سنن الكون، فان العلم هو الذي يأخذ بالزمام، ويوجه
الناس حكماً ورعية نحو الخير والسلام، ولذا ترى أن تقدم الإنسان في المجال
الصناعي وغيره، كله خاضع للعلم، وخانع بأيدي العلماء.
كما وترى الحكام ومن دار في فلکهم مؤتمرين بأوامر العلماء ومنقادين لهم،
فالعلماء هم قمة المجتمع، رغم كون القوة العسكرية بأيدي رجال الحكم، ورغم كون
القوة الاقتصادية بأيدي رجال المصارف والبنوك مثلاً، وذلك لأن العلم أقوى نفوذاً
من نفوذ الصاروخ والذرة، وأمضى حداً من حدّ الاقتصاد والمال.

الحضارة ووراثها الشرعيون

هذا هو دور العلم والعلماء في المجتمعات المتقدمة، وبعض مكانتهما أيضاً في
الإسلام العظيم، فقد عد الإسلام العلماء المتقين ورثة الأنبياء عليهم السلام، فهم على ذلك
الوراث الشرعيون لحضارة الإسلام، وهم المتعمقون في العلم، والمجدّون في العمل،
والعارفون بطريقة تعميم الحضارة الإسلامية بين الناس، ونشرها في كل العالم،

^(١٨) نهج البلاغة: الكلمات القصار، الرقم

وإيصالها إلى المتعطشين إليها، والمحرومين منها.

نعم لا تنتشر الحضارة الإسلامية المباركة ولا تسود إلا بمقدمات وأسباب، ومن أهمها: تشكيل شورى الفقهاء المراجع كما قال تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾^(١٩)، فانه الطريق الأمثل في زمن غياب المعصومين عليه السلام لإدارة أمور العباد والبلاد.

وكيف كان: فان الدنيا دار اسباب ومسببات، ومن عمل ظفر، ومن سار على الدرب وصل، وكما أن التجارة سبب للوصول إلى الدنيا، والزهادة سبب للفوز بالأخرى، فكذلك تكون الفقاهاة سبباً للظفر بالدنيا والآخرة معاً، ولا تكون الفقاهاة إلا بالتدبر والتعمق في العلم، والجدّ والمثابرة في العمل.

الحوار الهادف

ثم إن من أهم طرق نشر الحضارة الإسلامية المباركة في الأوساط الاجتماعية، وعلى المستوى العالمي، هو فتح مجال عام للحوار العلمي الهادف، والنقاش المنطقي غير المنحاز وغير المتعصب.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن هو الكيس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدرا، وأذل شيء نفسا»^(٢٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية، بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»^(٢١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من تعصب أو تعصب له: فقد خلع ريقه الإسلام

^(١٩) سورة الشورى: ٣٨.

^(٢٠) راجع أعلام الدين: ص ١١٥، باب صفة المؤمن.

^(٢١) سفينة البحار: مادة (عصب).

من عنقه وحشره الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية» (٢٢).

وقال ﷺ أيضاً: «من تعصب، عصّبه الله بعصاة من نار» (٢٣).

وقال الإمام أمير المؤمنين ﷺ: «فان كان لابد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور...» (٢٤).

وليكن ذلك بإعداد قاعات وصلات، ومراكز وقنوات، فيها رجال فكر، واسعوا الصدر، طيبوا النفس، يحملون بين جوانحهم تعليمات القرآن الحكيم، وآداب الإسلام العظيم، وأخلاق الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ، التي هي مجموعها تشكل اطار الحضارة الإسلامية، ثم يعرضونها على كل العالم، ويحاورون فيها أصحاب الأفكار والآراء وحملة الأديان والمذاهب الأخرى، فان الناس إذا عرفوا عظيم حضارة الإسلام، واطلعوا على دقيق حكمه ومعارفه، وصحته وصوابه، لأسرعوا إليه ولتهافتوا عليه فان طريق الحوار الحر غير المتعصب، هو الذي دعا إليه الإسلام، وحرص عليه من يوم طلوع فجره، وبزوغ شمس.

وقد طبق هذه الدعوة (دعوة الحوار الحر) رسول الإسلام الحبيب ﷺ وأهل بيته الطاهرون ﷺ في كل المجالات، وعلى كافة المستويات، ومع رجال الفكر والعقيدة، وأصحاب الأديان والمذاهب، وقد أشار إلى بعضها القرآن الحكيم، وتعرضت لها الروايات الشريفة، وسجلها بين طياته تاريخ الإسلام المنير، مما بقيت مشرقة إلى يومنا هذا، وستبقى إلى أبد الدهر.

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا جميعاً لمعرفة الطريق إلى الحضارة الإسلامية المباركة والعمل لارجاعها واعادتها إلى الحياة انه سميع الدعاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين. والحمد لله رب

(٢٢) اعلام الدين: ص ٤٠١، باب ما جاء من عقاب الأعمال.

(٢٣) جامع الأخبار: ص ١٦٢، الفصل ٢٧.

(٢٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢، الرقم ٧٦.

العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الكويت

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

الفهرس

٣	كلمة الناشر
٦	المقدمة
٧	من أسباب التخلف
٨	قصص الأنبياء ﷺ وعصمتهم
٩	التفسير لدى الفريقين
١٠	فروع الدين ومسائله
١١	العلم والعمل
١٢	دعائم الحضارة الإسلامية
١٢	الحضارة العلمية
١٢	الحضارة العملية
١٣	رجال الدين ومهمتهم الحضارية
١٣	مواصلة التقدم الحضاري
١٤	لا للسطحية
١٥	السطحية وبعض نماذجها
١٧	أروع الحضارات وأشملها
١٨	وراث الحضارة
١٩	سؤال وجواب
١٩	الحضارة ووراثها الشرعيون
٢٠	الحوار الهادف

